احترقت الأشرطة السوداء .. وبدأ التاريخ الأبيض لكل المصريين

بقلم : محسن محمد

المشهد مثير في ساحة وزارة الداخلية التي دخلتها امس لاول مرة في حياتي .. فقد ظللت طول عمري احس منها بالنفور والانقباض .

.. طوب احمر على هيئة مربع .. بداخله فراغ .. وفي قاع المربع رمال .. وبعض العمال يتحركون

كل شيء يبدو وكأن حجرا اساس سيوضع .. ولكن لا توجد لوحة تشير الى البناء الذي سيرتفع ..

ويجيء انور السادات .. وقد رايته منذ ١٩ عاما وهو يشاهد خروج الملك فاروق .. ويعلن : « هذه نهاية نظام » .

ورايتـه امس .. واكاد اسمعه ينطق . « وهذه ايضا نهاية نظام » .

الطوب الاحمر يتحول الى فرن .. والحقيبة الشمعة تفتح .. وصندوق الكرتون الكبير يفتح .. وعربة الميكروباص تلقي بحمولتها من العفن .. في النار .

والاشرطة تتلوى امامي لتوها حملت وملفات الاحاديث عليها كلمة رقابة .. ثم اسم صاحبها

لم يبق انسان لم يستمعوا اليه .. لم يتنصتوا عليه .. لم يحاولوا اختراق حاجز الامن والسرية حوله ..

هذا سفير سابق .. هذا مفكر .. هذا وزير .. هذه السيدة .. هذا الكاتب .. ما حاجة الدولة الى تعرف اسرار هؤلاء ؟ .. اكاد احس باننا جميعا في هذه الملفات .. في تلك الاشرطة .

وللنـار رائحة .. وللوقود رائحة .. وللاشرطة ايضا رائحة .. ولكن ما يتصاعد امس من دخان .. ما يتنـاثر امامي من رماد .. ما يملأ انفي .. كل هذا له رائحة اخرى .. لم تعرفها مصر ولن تعرفها بعد اليوم مصر .

التليفزيون يصور .. ولكن لا عدسـات التليفزيون .. ولا ميكروفون الاذاعة .. لا احد يستطيع ان يقول ما في هذه الاشرطة ..

نبض الناس .. صدق الناس .. وحتى اكاذيب الناس .. انتهت الرواية الى الابد .. لن يستغل احد كلمة جاءت عفوا او في لحظة ضعف .. او نطق بها انسان عمدا .. ذهبت الاسرار الى الابد .. واختفت الرقابة السوداء .. وعهد الرقابة الاسود .. الى الابد

والحريق كان دائما في كل قلب .. وفي كل بيت .. وهو الآن هنا امام كل الاعين .. اما ما تخفيه الصدور .. فستظل تخفيه الصدور !

ما اكثر ما كنا نخاف .. ما اكثر ما كنا نيأس .. كنا نتكلم في التليفون ونحن نعلم ان ثالثا مريبا يسمعنا .. يتبعنا .. يترصد لنا

ما اكثر ما كنا نتكلم في همس حتى في بيوتنا .. لان شريطا اسود .. يدور .. ويلتقط .

امس انتهى هذا كله .

وبدأنا جميعا حياة جديدة .. في نقاء .. بدأت صفحة بيضاء لكل مواطن .. تعالوا نسطر عليها اجمل ايام العمر .. واروع بطولات العمر .. في شجاعة .. وبلا خوف .. نمارس الحرية بلا قيود .. وبلا ارهاب .. من اجل وطن افضل .. من اجل مصر الحرة .. للمصريين الاحرار .

[illegible] من الحديث التاريخي [illegible] ومعه الدكتور حاتم وممدوح سالم واحمد اسماعيل مدير المخابرات العامة وسـيد فهمي مدير المبـاحث العـامة

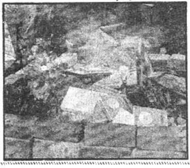

إبادة وثائق العـار

لحظات مثيرة ، خصبة ، مشحونة بدلالات عديدة ، شهدها فناء وزارة الداخلية أمس .

آلاف المواطنين ، تجمعوا في الطـرقات المؤدية الى وزارة الداخلية ، مئات العاملين بالوزارة احتشدوا في فنائها ، أطلوا من نوافذها ، من شرفاتها ، الانظار كلها مشدودة الى سور مربع من الطوب الاحمر ، حقائب مغلقة • رصت حوله ، حقائب مختلفـة الاحجام ، مليئة « بالشرائط » التي تأسر حياة الناس الخاصة .

ويعلو التصفيق

ويتقدم الرئيس انور السادات .. بنفسه يلقي اول مجموعة من شرائط التسجيل .. يشعل فيها النيران ، ويعلو التصفيق اكثر ..

وترتفع السنة اللهب ، الدخان الاسود اللزج الكثيف .

ابدا ، ليست هذه مجرد عملية احراق . شرائط التسجيل . انها اكثر من ذلك عشرات الدلائل والايحاءات تتدافع الى الذهن مع كل لفافة شريط تتخذ طريقها الى النار ..

مئات اللفافات ، الشرائط الملفوفة ، تحوي داخلها ، ومن القهر ، والاعتداء على حرية الانسان . عبر اوقات طويلة دارت هذه الشرائط ، ترصد احاديث الناس ، تتسمع الى المواطنين ، تمسح احساسهم بالاستقرار ، بالطمأنينة المشروعة ، اتصالاتهم اليومية ، استفساراتهم البسيطة . كل شيء يمر ، يزول ، الكلمات العادية تصبح ذات دلالة ، يمكن ان يحاسب الانسان عليها ذات يوم ، علاقات الانسان الخاصة ، الخاصة جدا ، تسجل ، تتلقفها الشرائط ، تحصي انفاسه .

الرئيس انور السادات ، وزير الداخلية ، دكتور عبد القادر حاتم ، مدير المخابرات العامة ، مدير المباحث العامة ، كبار المسئولين بالوزارة ، يلقون بالشرائط . النيران تزداد اشتعالا ، اللفافات تتحول الى فحم ، الرئيس انور السادات يحرق فترة باكملها ، يمضي الى الركن بكابوس ثقيل يرفع الحمل بنفسه عن صدور المواطنين ، يمهد لما تبدأ الحريات ، النيران تنهي فترة زمنية باكملها ، تنهي وثائق العـار ، ها هي فترة تنقضي ، وها هو كفاح يبدأ من اجل صيانة حقوق الانسان البسيطة ، مطالبه المشروعة

في طريقها ، تصبح مجرد [illegible] سيطرة الاجهزة على الانسان . الجماهير تصفق . الان على [illegible] واجب هام ، الوقوف بجوار الرئيس انور السادات في شعار الحريات الذي رفعه عاليا ، ورجال في [illegible] ، هناك عربة ميكروباص ، رجال الداخلية يفتحون ابوابها ، يحملون عددا كبيرا من الدوسيهات ، دوسيهات ضخمة ، الرئيس يتناولها ، يلقي بها في النيران ..

النيران تزداد اشتعالا ..

هذه الدوسيهات كانت تفرغ فيها مكالمات التليفونات المسجلة فوق الشرائط ، ورجال [illegible] يتدافعون بها الى النيران تلفح الوجوه ، واحاول ان ابتعد الى اقرب مسافة من النيران ، [illegible] في الدخان ، احاول ايجاد الاجابة على سؤال : لم هذه الدوسيهات ؟ واحاول جاهدا التقاط بعض الكلمات المكتوبة فوقها من السنة النيران ، قبل ان تتحول الى فحم ..

وارى اسم [illegible] معروفة [illegible] الجزء الرابع من ٥-١٢-١٩٧٠ حتى ...)

واري الدوسيه احمر اللون ، كتب سري جدا ، بخط احمر .

ترى اي اسرار خطيرة تتعلق بامن الدولة يمكن ان تعطي المبرر لتسجيل مكالمات الفنانة ؟!

وتتحرك الاوراق والشرائط ، تهرب الاسماء ، التي [illegible] بصعوبة ، اسماء ناس عاديين .

واتوقف طويلا عند دوسيه صغير الحجم ، كتب فوقه (سري جـدا لا يفتح الا بمعرفة الوزير .. حربي)

عبارة تلخص [illegible] القهر التي تشوه عصرنا ، تلوث حرية الانسان ، تنفيها ، آلاف الساعات ، بطاقات العمل ، والاموال ، هدرت من اجل تسجيل مكالمات حربي (لا تسمع الا بامر من السيد الوزير)

يتعالى هتاف الجماهير :

حرق .. احرق يا سادات

وتتصاعد السنة اللهب ، [illegible] الانساني ، تبدد فترة من زمن [illegible] المستقبل ، الى الامام ، حيث يبدأ الجماهير [illegible] الشعار الذي رفعه الرئيس السادات ليتحقق ما قاله ، يجب ان يكون كل انسان آمنا في وطنه ، وفي بيته ، وفي حريته ، لتسود زمن [illegible] من الشرائط ، من القهر ، من [illegible] حرية الانسان ، من كافة اشكال الرقابة على حياة الانسان العادية البسيطة ، وهذا ما اكده الرئيس السادات ، عندما احرق امس هذه الدوسيهات والشرائط ، هذه الوثائق التي تدين عصر .

جمال القيطاني

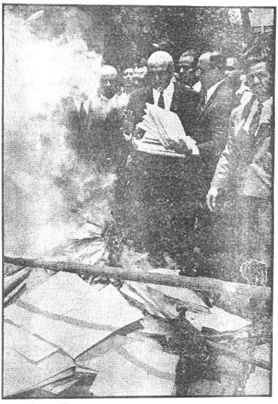

تصوير : جمال يوسف

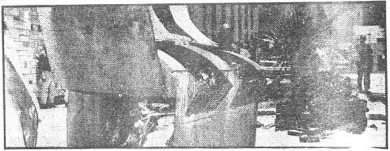

هذه نهاية اشرطة الذل .. والاستغلال .. والامتهان